

دور القيادات الرسمية والشعبية في خدمة القضية الفلسطينية

د. هالة دليلة سرحاني

Official and public leadership role in serving the Palestinian issue

Phd.Halleh Dalleleh Hassani

Professor lecturer in Islamic sciences college – Algeria University

The leaders in Palestine are in front of big tasks, they serve a dream, a dream of any Muslim that is the liberation, and the reaching to achieve an independent country, rolling the territory of the (The first Qiblah and the Custodian of the Two Holy Mosques) Al Quds. The leaders of the liberation movements did important roles in conquering the occupation, also the Arab countries had an important role in that, in addition, the movements had symbols and characters greatly influenced in developing the defense to the Palestinian issue.

Through the years of the resistance developed ideas and opinions adopted by some movements and contributed actively in buttress the liberation doctrine and the Palestinian issue with power and continuance over the decades.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن مستقبل الحضارة البشرية مرهون بالقادة الذين يسوسون المجتمعات الإنسانية في شتى الميادين ومختلف القطاعات، إذ تقع على عاتقهم عملية التنمية والتطوير ناهيك عن عملية البناء والتحرير في ظل عولمة متسارعة المتغيرات ومنتامية التحديات، فهم الذين يقررون مصائر الأمور ويصنعون حاضر الأمم ويستشرفون المستقبل ويحددون الرؤى والأهداف ويسعون لتحقيقها.

كما يقومون برسم الاستراتيجيات المحددة للعلاقات بين الدول في حالة السلم والحرب.

إن القادة أمام مهام جسيمة وخطيرة يتوقف عليها مستقبل الأمة وتأمين سلامتها واستقرارها وبقائها المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقضايا العادلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية التي تتطلب رسم استراتيجية دقيقة مضبوطة تحدد فيها مشاريع مقاومة ومواجهة المشروع الصهيوني الذي يستهدف تفويض المشروع الإسلامي، وتحطيم مصادر قوته وتفريق أوصال الأمة واستئصال شأفتها، كما تبين دور القيادات في خدمة القضية ونصرتها.

والمداخلة تدخل في هذا الإطار، لذلك فإن الفكرة الأساسية التي تدور حولها المداخلة محددة في الإجابة على الإشكالية التالية: ما هو دور القيادات الرسمية والشعبية في خدمة القضية الفلسطينية ونصرتها، مستهدفة بذلك تحقيق عدة أهداف أهمها:

- بيان دور القيادات الرسمية والشعبية في القضية الفلسطينية ومدى أهميته وضرورة تصحيحه وتفعيله.

- بيان إمكانية مواجهة المشروع الصهيوني بعدة خيارات استراتيجية.

- إبراز نماذج قيادية خدمت القضية الفلسطينية، علماً أن طبيعة الموضوع هي التي فرضت منهجية البحث المتمثلة في المنهج التاريخي والتحليلي.

وقد قسم الموضوع إلى عدة محاور:

المحور الأول: ماهية القيادة

وقد تم فيه تحديد مفهوم القيادة والواجب الشرعي والحضاري تجاه القضية

الفلسطينية.

"إن القيادة هي العملية التي بواسطتها يقود الفرد بالتوجيه وبالتأثير في أفكار أو مشاعر أفراد آخرين أو في سلوكهم" (١). كما أن القيادة فن التعامل مع الطبيعة البشرية حيث أنها فن التأثير في الأفراد عن طريق الإقناع والإستمالة، وإعطاء وتقديم المثل من أجل حثهم على إتباع خط معين أو أسلوب معين ..

والقائد هو عضو له مكانة مستمدة من علاقته بالأفراد والمجتمع، وتسمح له بالتأثير فيهم وتوجيههم لتحقيق الأهداف المتفق عليها (٢) .

ومن أهم الأهداف المتفق عليها هي خدمة القضية الفلسطينية ونصرتها لأنها القضية المركزية للأمة الإسلامية، ومحور الصراع الإسلامي الصهيوني الذي يتطلب من الشعوب المسلمة عامة وقادتها خاصة أداء واجبهما الشرعي والحضاري تجاه فلسطين وشعبها، علما "أن قضية فلسطين ليس مجرد صراع على قطعة أرض أو غلبة سياسة لقوم دون قوم، أو علو شعب على شعب، ولكنها قضية صراع حضاري بين المسلمين وبين.. الصهاينة الذين ما زالوا يتحفزون لاحتلال أرض المسلمين وقتلهم وإبادتهم وتخريب ديارهم وإيقائهم في دائرة التخلف" (٣) .

إذن الصراع وجود وليس صراع حدود، وتاريخ وليس جغرافيا، من هنا وجب أنها على قادة المسلمين شرعا العمل على استرجاع وتحرير أرض فلسطين من حيث أنها مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم و أرض إسلامية مباركة بنص القرآن الكريم: [! " # % \$ & ') * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9]
والمسلمون مأمورون بشد الرحال إليه والصلاة فيه، قال صلى الله عليه وسلم: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى" (٥) ..

(١) محمد الحسن، أزمة القيادة وعلاجها في واقعنا المعاصر، ص ٨

(٢) د. مصطفى صبحي السيد، القيادة الإدارية في العصر الحديث ص ١٨٠ بتصرف.

(٣) مصطفى محمد الطحان، القدس والتحدي الحضاري، ص ٩ بتصرف.

(٤) الإسراء/١.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح، ج ٢، ص ١٢٦.

فمن ميمونة مولاه النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قلت يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس، قال: أرض المحشر والمنشر، اتتوه فصلوا فيه، فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره...^(١) فكيف يُصلي فيه وهو مغتصب محتل، فالواجب الشرعي إذن تحريره للصلاة فيه ولأن فلسطين أرض وقف على الأمة الإسلامية لا يحق لأحد التصرف فيها ببيع ولا شراء وعليهم استرجاعها والمحافظة عليها والرباط فيها ورفع الظلم عن أهلها ونصرتهم تجسيدا لتعليمات المصطفى صلى الله عليه وسلم: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" وخاصة أن القضية الفلسطينية قضية متعددة الأبعاد، فهي ذات بعد ديني عقدي، بعد حضاري، بعد إنساني وبعد استراتيجي إذ بها تكتمل أجزاء الوطن العربي لأنها تشكل حلقة الربط وهمزة الوصل بين أجزاء المنطقة العربية، إذ بدونها لا يمكن للمنطقة أن تحقق وحدة سياسية أو تكاملا اقتصاديا، أو أي عمل تنموي^(٢).

المحور الثاني: ١- أصناف القيادات تجاه القضية الفلسطينية:.

رغم أبعاد القضية الفلسطينية وواجبات القادة تجاهها إلا أن القيادات أصناف لأنهم يتفاضلون بما يعيشون له من أهداف.

أ-صنف القيادات التي وظفت القضية الفلسطينية إما للمناورة وتحسين الموقع ولعب دور البطل حتى لا تخسر الامتيازات والمكتسبات وإما لخدمة المصالح الشخصية والوصول إلى النفوذ والمحافظة على السلطة وتحقيق الهيمنة ولو على حساب القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، وعلى حساب القيم والمبادئ وهذه القيادة تعيش لنفسها دون غيرها مجسدة بذلك قاعدة نفسي نفسي، وقاعدة أنا ومن بعد الطوفان" والقاعدة الميكيافالية"الغاية تبرر الوسيلة".

ب-صنف القيادات التي حملت هم القضية الفلسطينية ولو على حساب المصالح الشخصية إيماننا منها بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لا يصبح ويمسي ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس

(١) أبو داود في السنن، ج ١، ص ١٧٨.

(٢) تعدد الاتجاهات في تحديد طابع الصراع العربي الصهيوني "تحو شريح حضاري نهضوي عربي، بحوث ومناقشات، الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٧١٦.

منهم^(١) ذلك أن الواحد فيهم "لم يجعل الدنيا أكبر همه ولا يبلغ علمه"... ولا مصالحه الذاتية، بل هو يعيش لهدف كبير ولرسالة عظيمة، نذر نفسه لها، ووهب حياته وجهوده وقدراته لتحقيقها... وهو الذي قال الله تعالى في مثله: [u t s r q p . (٢) Z { z y w v

٢- دور القيادات الرسمية:

إن القيادات الرسمية المتمثلة في القادة الحكام يتحملون المسؤولية الأولى والكبرى في تأمين الأمة وخدمة قضاياها العادلة لأهمية أدوارهم ولما لهم من الصلاحيات والامكانيات والسلطات فالسلطان زمام الأمور ونظام الحقوق، وقوام الحدود، والقطب الذي يدور عليه مدار الدنيا، وهو حمى الله في بلاده، وظله المحدود على عبادته، به يمتنع حريمهم، وينتشر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويؤمن خائفهم^(٣)، ذلك أن يزرع الله بالسلطان أكثر مما يزرع بالقرآن^(٤)، كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه، غير أنه رغم خطورة وأهمية هذا الدور إلا أن القيادات الرسمية نجدها تتأرجح بين دور سلبي ودور إيجابي تجاه القضية الفلسطينية.

الدور الراهن وسلبياته والمتمثل في:

- الاكتفاء ببيانات التنديد والاحتجاج والاستنكار مهما كانت الأمور خطيرة.
- الاكتفاء بعقد القمم التي لم تأت ثمارها رغم أهميتها.
- الاكتفاء باقتراح مبادرات وعدم القدرة على الاتفاق والخروج بوثيقة واحدة يقبل بها الجميع ويسعى لتحقيقها كافة الحكام والأنظمة نظرا لطغيان الخلافات عند المواقف الجادة.
- عدم القدرة على اتخاذ قرارات ومواقف شجاعة تجعل حدا لطغيان اسرئيل وأعاونها.

- اتباع سياسة التطبيع من خلال فتح مكاتب تجارية أو سفارات، هذه السياسة التي تستهدف من خلالها اسرئيل أمنها وإلغاء المقاطعة السياسية والاقتصادية، وإماتة روح

(١) الطبري، المعجم الأوسط، ج٧، ص٢٧٠.

(٢) سورة البقرة/٢٠٥ .

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، السلطان وعدل ساعة، ص٦٣.

(٤) الثعالبي أبي منصور، تحفة الوزراء، ص٨.

الجهاد والمقاومة من خلال إعادة صياغة العقل المسلم ونفسيته وتحويل آليات الصراع إلى آليات للسلام على حساب القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني.

-الاقْتِصَار على سياسة السلام كخيار استراتيجي وحيد رغم الخيارات المتعددة وذلك رضوخا لسياسة الأمر الواقع، حيث تم الترويج بأنه إما السلم أو الحرب، ولا طاقة لنا على الحرب بناء على المقادير المادية الرسمية والظروف الموضوعية وبذلك فقد تناولوا الموضوع بعقلية ثنائية المنطق لا ثالث لها، مما أضعفهم من الناحية الاستراتيجية وسلبوا أنفسهم جميع البدائل الأخرى التي قد تكون تمثل أوراق قوية وضاعطة من عدة جوانب كالسياسة العسكرية والأمنية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وغيره، ويمكن تجزيء هذه الخيارات وتحديد أوزان مختلفة لها، مما يعزز الموقعية الاستراتيجية للعرب والمسلمين، حيث أن ذلك قائم على المنطق المتعدد، وهو أساس الفكر الاستراتيجي السليم والشامل^(١).

-عقد اتفاقيات سياسية بمعزل عن أساس وجوهر القضية الفلسطينية قضية الشعب المحتل والأرض المغتصبة والمقدرات المنهوبة والمقدسات المدنسة والحقوق المسلوقة، ومع تعدد الفهم والمبادرات والوثائق والاتفاقيات وكثرتها إلا أنها كانت تشهد تولدا غريبا وتواترا نوعيا وكثافة واضحة في أوقات زمنية معينة، تلك التي تشتعل فيها المقاومة الفلسطينية الباسلة في وجه الاحتلال الغاصب، وينحدر فيها الكيان المحتل إلى درك الأزمة، مما يثير علامات الاستفهام..ومن هنا كان الفشل والإخفاق سمتا يميز جميع..الاتفاقيات لأنها تشترك في علة واحدة، وتلتقي على هدف واحد، يضع الحقوق والتطلعات والمصالح والثوابت الفلسطينية وراء ظهره، فالقضايا الرئيسية التي تشكل لب وجوهر القضية كالقدس واللاجئين والحدود والاستيطان والسيادة لم تشكل جزءا من المضامين..وهذا تخطيط مسبق للفشل^(٢).

إن هذه الاتفاقيات تقنين لوقف تحرير فلسطين، وهذا يؤكد وجود هوة بين الأيديولوجيات المثالية والأهداف المعبرة عن المصالح الاستراتيجية وبين المبادئ المعلن عنها والممارسات الفعلية لبعض القيادات مما يثبت قلة القيادات بالمبادئ.

(١) زهير عبد الهادي الحميد، المفاوضات العربية مع الكيان الصهيوني وسياسة التهويد وأرض الواقع، ص ٢٤.

(٢) اسماعيل عبد اللطيف وآخرون، انتفاضة الأقصى، ص ٧-٨.

ب- الدور الإيجابي:

إن القادة الحكام الذين يأخذون بعين الاعتبار ثوابت القضية الفلسطينية والذين يسعون لتجسيد حديث القائد الأمين صلى الله عليه وسلم على أرض الواقع "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"^(١) والذين يصنعون نصب أعينهم قول عمر بن عبد العزيز عندما وجدته زوجته يبكي فسألته: يا أمير المؤمنين أشيء حدث؟ قال: يا فاطمة، إني تقلدت من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسودها وأحمرها، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعادي المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير وذو العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي سائلني عنهم، فخشيت أن لا تثبت لي حجة، فبكيت"^(٢).

هؤلاء هم الذين يحملون هم القضية ويسعون لخدمتها ودعمها ونصرتها والذين يقومون بدور إيجابي تجاه الشعب الفلسطيني منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قام بتحريرها واستلم مفاتيح بيت المقدس بعهد رسمي، ثم بعد صلاح الدين الذي كان دائما يقول: "كيف أضحك وبيت المقدس مأسور في يد الصليبيين، إلا أن حررها وما أعانته على ذلك هو توحيد المسلمين تحت لواء واحد، وإيمانه وتقواه إذ أوصى ابنه الظاهر وهو على فراش الموت "أوصيك بتقوى الله، فهي رأس كل خير وأمرك بما أمر الله به، فإنه سبب نجاتك، واحذر من الدماء والدخول فيها والنقلد بها، فإن الدم لا ينام، وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالها فأنت أمني وأمين الله عليهم. ونحن بصدد فكر القادة الحكام الذين كان لهم دور إيجابي نحو فلسطين وقضيتها لا يمكن أن ننسى أبدا موقف السلطان عبد الحميد تجاه تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية كحركة سياسية عندما طلب منه السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين عارضا عليه أموال اليهود وإمكاناتهم في العالم قائلًا رغم الأزمات: "على الهرهرتزل أن لا يتقدم خطوة واحدة أخرى في هذا الشأن، لا أستطيع أن أبيع بوصة واحدة من البلد لأنه ليس ملكي بل ملك شعبي لقد أوجد هذه الامبراطورية وغذاها بدمه، وسنغذيها مرة أخرى بدمنا قبل أن نسمح بتمزيقها.."

(١) البخاري الصحيح، ج١، ص٣٠٤ ومسلم، الصحيح، ج٣، ص١٤٥٩.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٣٦.

إن الشعب العثماني هو مالك هذه الامبراطورية لا أنا، لا أستطيع التخلي عن أي جزء منها، يستطيع اليهود أن يوفروا ملايينهم حين تقسم الامبراطورية قد يأخذون فلسطين مقابل لا شيء، لكن لن تقسم إلا على جثتنا لأنني لن أسمح أبدا بتشريحنا ونحن أحياء، وكانت نتيجة ذلك سقوطه وسقوط الملك ثمنا لفلسطين والقدس، لأنه من أهم بنود مؤتمر بال الذي عقد في سويسرا عام ١٨٩٧: "في حال استمرار رفض السلطان عبد الحميد للمطالب الصهيونية فإن تحطيم الإمبراطورية التركية شرط أساسي لإقامة حكومة صهيونية في فلسطين"^(١)

ومن هناك نماذج أخرى في زماننا هذا كالمملك فيصل الذي افتك قرار قطع البترول عن اسرائيل في حرب ٦٧، وموقف الرئيس الجزائري بومدين نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة، ناهيك عن دفعه بصك على بياض لروسيا من أجل شراء مصر الأسلحة عام ٧٣، ومشاركة الجيش الجزائري في كافة الحروب التي كانت ضد إسرائيل مع غيرها من الشعوب العربية، وأخيرا قمة الدوحة التي تمنينا على الله لو أن كل رؤساء وقادة الدولة العربية والإسلامية قد شاركوا فيها.

على القائد الحاكم أن يتماهى بشعبه وقضايا أمته، أن يهب ذاته ويكرس حياته للمبادئ والقيم السامية ليصبح المعبر والناطق الصادق باسم أمته وهمومها وأهدافها وطموحاتها ليكون "أمة في رجل".

إن القيادات الرسمية وعلى رأسها القادة الحكام لا يمكنهم أن يؤديوا الدور على أكمل صورة إلا إذا قرروا الخروج من الدور المنحسر الذي أوقعوا فيه أنفسهم خوفا من المخاطر المحدقة بالمصالح الشخصية من خلال الارتقاء إلى مستوى طموحات الشعوب وقضايا الأمة وخدمة الصالح العام الذي إن تحقق تحققت من ورائه المصالح الفردية لأن الأولى تعيد ثقة الشعوب بحكامها مع ضرورة نسيان الأحقاد والنزاعات والخلافات، والتخلص من الدوران في فلك الفشل المتتابع نتيجة التخاذل والإخفاق في اتخاذ القرارات الشجاعة الموحدة، ناهيك عن امتلاك فن إدارة الأزمات والصراعات وخاصة الصراع الحضاري من خلال فقه قواعد اللعبة السياسية المعتمدة من قادة القوى الدولية، وحسن

(١) جواد رفعت اتلخان، الإسلام وبنو اسرائيل، ص ١٥٢، بتصرف، مصطفى الطحان: القدس والتحدي الحضاري، ص ٢١-٢٢.

توظيف فقه المتناقضات حتى لا تكون الأمة الإسلامية وقضاياها لقمة صائغة في أفواه هذه القوى.

٣- دور القيادات الشعبية.

الممثلة للحركات التي انبثقت من عمق المجتمعات، فتخذت مع الشعوب لخدمة مصالحهم وتحقيق طموحاتهم والوقوف مع خياراتهم.

إن دور القيادات الشعبية مكمل لدور القيادات الرسمية على جميع الأصعدة بل في كثير من الأحيان يكون مؤطر لهذا الدور مفعول له إن كان إيجابيا ومعدل له إن كان سلبيا ومصحح له إن كان خاطئا لما له من قوى التأثير وآلياته.. الخ

أ- دور القادة السياسيين:

إن القادة السياسيين هم أيضا يتحملون مسؤولية خدمة القضية الفلسطينية لأنهم ممثلو الشعب وخياراته والمتحدثين باسمه، ولأنهم يقع على عاتقهم العبء الأكبر في صياغة العديد من الاستراتيجيات وتحديد مختلف السياسات ذلك أن لهم دور فعال في إحداث تغييرات جوهرية في المجتمع والأمة لما لهم من معارف ومهارات مجتمعية وسياسية تعمق مشاركتهم في توجيه القاعدة الجماهيرية مكونين بذلك لوبي ضاغط مؤثر على صناع القرار. من هنا وحتى لا يتشاركوا مع القادة الرسميين في الدور السلبي تجاه القضية.

فإن على القادة السياسيين أن يسعوا إلى دعم القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني من خلال:

*تكوين كومنندوس سياسي يستهدف توجيه الرأي العام وتحريك الشارع وتفعيل المجتمع المدني والضغط على الأنظمة للوقوف مع القضية المركزية، وعدم التنسيق مع إسرائيل وأعوانها على المستوى الأمني والاقتصادي التجاري.

*توظيف الشبكات العلاقاتية على المستوى السياسي والدبلوماسي لتحريكهم نحو القضية ونصرتها ناهيك عن توضيح الصورة الحقيقية لها ومتطلباتها

*فضح الممارسات الصهيونية من خلال إبراز الحقائق وتحليل الأحداث والمواقف وإظهار خلفياتها وأهدافها.

*تفعيل المقاطعة للضغط على الأنظمة الغربية الداعمة للمشروع الصهيوني هذا اقتصاديا، إضافة إلى الضغط عليها دبلوماسيا من خلال تجميد العلاقات.
*تجسيد الخيارات الكبرى التي تخدم المجتمع والأمة وقضاياها التي لا تتصادم مع إرادات الشعوب.

*اقتراح المبادرات الفعالة وتقديم المشاريع الاستراتيجية التمويلية التي تستوعب الظواهر المترتبة عن الاحتلال الصهيوني وسياسة الإبادة وعلى رأسها الفقر والبطالة والإعمار... الخ للاستغناء عن سوق العمل الاسرائيلية، هذا ناهيك عن ضرورة خدمة الجوانب الإنسانية والحقوقية والإعلامية للقضية الفلسطينية، والسعي الجاد لرفع الحصار عن غزة .

إن القادة السياسيين الذين أدركوا مدى أهمية أدوارهم في تغيير موازين القوى وأن أممهم خيارات استراتيجية عديدة تجاه الصراع الإسلامي الصهيوني قد اجتهدوا في القضية الفلسطينية ونصرة الشعب الفلسطيني وعلى رأس هؤلاء

-الإمام البنا: إن الحديث عن فلسطين يقتضي بالضرورة الحديث عن الإمام الشهيد حسن البنا الذي آمن أن قضية فلسطين هي قضيته الأولى وأن السبيل الوحيد لتحريرها هو الجهاد والمقاومة فأعد شباب الإخوان ليشاركوا في تحرير فلسطين من الإنكليز واليهود على السواء، وفعلا شاركوا في حركة عز الدين القسام عام ١٩٣٥، وعام ١٩٣٦ في ثورة فلسطين الكبرى وعام ١٩٤٨ وفي جميع الثورات التي تلتها إلى يومنا هذا، وقد أعلن الإمام البنا أنه تصدق بدماء عشرات آلاف مجاهد لتحرير فلسطين^(١)، وكانت الضريبة التي دفعها وإخوانه هو حل الجماعة واعتقال المجاهدين وغيرهم من الإخوان وأخيرا اغتيال الإمام البنا رحمه الله وهو يعد العدة لدخول فلسطين بجيش إسلامي كبير.

إن تاريخ الإخوان مع فلسطين مكتوب بخيوط من ذهب نسجت بدمائهم وأرواحهم وأموالهم ومجهوداتهم تجاه القضية الفلسطينية، والنموذج المثالي لها حاليا يتمثل في حركة المقاومة الإسلامية حماس إن على المستوى السياسي وما قدمته أو المستوى الدبلوماسي وما فعلته... إلى غير ذلك من الأدوار الكبرى التي قامت بها من خلال عظمائها السياسيين الذين لا يخفوا على أحد منا.

(١) مصطفى الطحان، القدس والتحدى الحضاري، ص ٦٠.

وهناك شخصية سياسية العظيمة ما ينبغي أن نغفلها عند ذكر قضية فلسطين لأنها عاشت فعلا لهذه القضية واستثمرت كل قواها العلمية والفكرية والسياسية والاجتماعية والمادية والمالية لخدمتها: إنه السياسي المحنك والعالم الجليل والمفكر العملاق الشيخ محفوظ نحاح رحمه الله.

لقد اعتبر بأن القضية الفلسطينية قضية عقدية حضارية واستراتيجية للأمة الإسلامية وبيان ذلك ما كتبه في الجزائر المنشودة: القدس أمانة إسلامية، ولا يجوز التنازل عنها لاعتبارات عقائدية دينية وحضارية ولا اعتبارات سياسية واستراتيجية. وضرورة الربط بين البعد الإسلامي والبعد القومي والبعد الوطني باعتبار فلسطين أرضا مقدسة من الناحية الدينية، ذات بعد استراتيجي خاص ومكانة سياسية وعسكرية واقتصادية مميزة^(١).

كما اعتبر أن "حل القضية عن طريق المفاوضات والتسويات لا يمكن أن يصل إلى تحقيق سلام عادل دائم في ظل الضعف والتشتت والتمزق العربي الراهن.. ثم إن الهرولة السياسية العربية نحو إسرائيل لإقامة اتصالات دبلوماسية وتطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية معها في ظل الأوضاع الحالية، لا يخدم في الحقيقة سوى المصالح والسياسة الإسرائيلية، فالهرولة وتطبيع العلاقات تنزع من يد المفاوض العربي آخر ورقة ضغط في يده، فهي تحرمه من استخدام قوة الرفض والمقاطعة العربية لإسرائيل للحصول على بعض التنازلات من طرفها"^(٢).

وقد كان دائما يتساءل بصدق عن إمكانية التعامل والتعايش بين دولة قامت على ايدولوجية استيطانية توسعية، تملك ترسانة من الأسلحة النووية، وبين عالم عربي تدمر فيه كل نواة لتطور علمي أو تكنولوجي، بدعوات مختلفة تارة باسم حماية الشرعية الدولية وقرارات المجتمع الدولي، وتارة باسم محاربة الإرهاب الدولي، وتارة تحت شعار حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان... الخ"^(٣)

ذلك أن الشيخ رحمه الله أدرك أن القضية ليست قضية نزاع أو صراع عادي بين دولتين أو بين مجموعة من الدول، لكنها قطعة محورية في لعبة السياسة الدولية

(١) محفوظ نحاح، الجزائر المنشودة، ص ٢٣٦.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣٧.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٣٨.

المعاصرة، تتداخل فيها مؤثرات الدين ورواسب التاريخ وتتضارب حولها مصالح سياسية واقتصادية وأمنية هائلة. لذلك ما يجب التنبيه له هو أن كل سلام يقفز على المشاكل الرئيسية (وتتمحور هذه المشاكل في أربع محاور: القدس، اللاجئين، الدولة المستقلة، الأراضي العربية المحتلة) هو سلام غير عادل وبالتالي سلام غير دائم^(١)، وأن الحل التفاوضي لم يكن حلاً عادلاً ولاحقاً، ولهذا لن يكتب له النجاح وانعكاساته ستكون خطيرة على الأمة والمنطقة كلها... إيماناً منه أن الانتصار الإسلامي على اليهود حتمية دينية وحضارية، وأن الشعب الفلسطيني وقواه الحية هو القاطرة التي تقود كل الحل الحقيقي وليس بالإمكان صناعة حل للقضية الفلسطينية دون الدور الفعال والريادي لأبناء فلسطين^(٢)

وقد كان للشيخ محفوظ رحمه الله دور عملية هامة في خدمة القضية الفلسطينية من أهمها^(٣):

* وضع قضية فلسطين شرط أساسي من شروط أي اتفاق أو تحالف مع السلطة أو الأحزاب انطلاقاً من بيان أول نوفمبر الذي من أهم بنوده: لا يكتمل الاستقلال إلا باستقلال فلسطين والمغرب العربي.

* نقل مستوى الدعم من الشعوب إلى الأنظمة سواء العربية والإسلامية أو الأجنبية إذ لا يخلو أي اجتماع مع السلطة المحلية أو الإقليمية أو الدولية من قضية فلسطين، والشواهد والشهود على ذلك كثر وعلى سبيل المثال لا الحصر: شهادة د/موسى أبو مرزوق إذ قال: "إن للشيخ نحاح دين خاص في عنقي، فحينما سجنتم في الولايات المتحدة سنة ١٩٩٥، كوني المسؤول السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، كان الشيخ رحمه الله هو أول من طرق أبواب وزارة الخارجية (الأمريكية) ليتحدث في قضيتي، مستكراً عليهم أمر إعتقالي كوني رجل سياسة، ومن حقي أن أدافع عن قضية بلادي بالطرق السلمية"^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) أحمد الدان، القضية الفلسطينية، مجلة المختار، العدد ١٢ جوان، جويلية.

(٣) أحمد الدان، في فكر ونضال الشيخ، مجلة المختار، بتصرف.

(٤) أحمد يوسف، الشيخ محفوظ نحاح، الأزمة والرجل الرشيد، ص ٨٨.

*توسيع مجال النصر إلى مختلف الحساسيات والتيارات السياسية المختلفة لخدمتها كل حسب تصوره، إضافة إلى الحضور الإعلامي في مختلف وسائل الإعلام.

*تشكيل لجان حزبية وهيئات ومنظمات داعمة للقضية الفلسطينية من خلال المجتمع المدني ناهيك عن إنشاء صناديق الدعم المالي الأسري للأسرة والطفل الفلسطيني وتقديم الخدمات الإنسانية انطلاقاً من توأمة التجربتين الجزائرية والفلسطينية.

لقد عاش الشيخ رحمه الله عاشقاً وخادماً ومتعبداً لله بالمشروع الإسلامي وفلسطين ومات وهو يوصي بفلسطين خيراً وكانت آخر كلماته عند الشهادة: القدس، القدس.

القادة العلماء:

إن دور القادة العلماء من أهم وأخطر الأدوار المؤثرة في مجرى الأحداث وقلب الموازين وتغيير السياسات وتحويل القنوات وتصحيح الاتجاهات وتطوير المجتمعات، لما يملكون من العلم المولد للقوة " إذ من لا علم له ضعيف وإن كان قويا وفقير وإن كان غنيا... ذلك أن العلم أصل القوة فرع، وإن العلم روح والقوة جسم"^(١)، فالعلم يمكن الدول من التقدم والحفاظ على سيادتها وأمنها واستقرارها وكرامتها، كما يزيد من قوتها وبسط هيمنتها على غيرها من الدول لما يوفر لها من الصلاح والإصلاح ويجنبها الفساد والإفساد مصداقاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمرء"^(٢).

من هنا يمكن القول أن دور القادة العلماء أعظم ومسؤوليتهم أخطر فهم الأمناء المؤتمنون على الدين والأمة وقضاياها وخاصة قضيتها المحورية قضية فلسطين، فلسطين الموقوفة على المسلمين إلى يوم القيامة والتي لا يجوز التفريط فيها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن أي جزء منها، لذلك فإنهم يتقاسمون مع القادة الحكماء عبء المسؤولية وسلبية الدور إن لم ينبروا لنصرة القضية الفلسطينية وفعلوا أدوارهم القيادية التي من أهمها:

-تعزيز دور الشعوب في دعم القضية الفلسطينية ونصرتها بكل الوسائل والإمكانات المتاحة .

(١) المرادي، الإشارة في أدب الإمارة، ص ٥٣.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية، ج ٤، ص ٩٦.

- طرح مشاريع تأصيلية للمقاومة الفلسطينية تؤكد شرعتها وفرضيتها العينية على كل مسلم ومسلمة مع الحرص على حفظ القضية حية في نفوس المسلمين وأحرار العالم (وفقها في جميع المجالات).

- المشاركة العلمية العملية في غرس وتعميم ثقافة المقاومة عند المسلمين وتوسيع دوائر فقه المقاطعة وشرعية مواجهة التطبيع وإيقاف عملية التهويد .

- اقتراح مشاريع سياسية شرعية تستهدف خدمة القضية الفلسطينية على المستوى السياسي والديبلوماسي.

- السعي الجاد لتقريب رؤى القيادات الرسمية حول القضية الفلسطينية ومعالجة الخلافات الممزقة للوحدة المدمرة للأمة (إصلاح ذات البين).

- ربط مفاهيم المشاريع المقترحة بأهمية تنسيق وتوحيد الجهود بين مختلف القادة وحسن الأداء ضمن أهمية التخصص وتعزيز الاحتراف وتطوير آليات التعاون.

- المحافظة على المنظومة القيمية في المجتمع والأمة لأن الأمم والمجتمعات التي تخلو من القيم والمبادئ مآلها السقوط والانهياء، وأن الإنسان بدون قيم ومبادئ إنسانية خارج إطار الحضارة بمفهومها الشامل وإن كان في إطارها بمفهومها المادي لأن القيم والمبادئ تقود إلى النجاح أو الفشل حسب التمسك أو التنازل.

- إجتناب الدوران في فلك الفتوى حسب الطلب وفلك الفقهيّات على حساب المبادرات العملية والبيانات والخطب والحوادث والإعلاميات دون غيرها رغم أهميتها لأنها لا ترقى إلى مستوى القضية المركزية إن لم تصاحبها المشاريع العملية وخدمة الجوانب الإنسانية والحقوقية والاقتصادية.. الخ

هذه بعض مظاهر الدور الإيجابي الذي أدركه كثير من القادة العلماء الذين اتسموا بالمسؤولية وبعد النظر وفقه الواقع والجرأة في طرح المواقف والمبادرات والأفكار البناءة وفهم مسار التحولات والتوازنات الدولية وخدمة قضايا الأمة ومساندة الحق والتضحية وإن كان على حساب المصالح الشخصية والحظوظ النفسية.

وقد صدق صموئيل المندوب السامي الصهيوني عندما قال لوزير المستعمرات تشرشل سنة ١٩٢١: "إن مشايخ وعلماء المسلمين ظلوا حتى الآن في موقف المتفرج،

ولكنهم سيأخذون زمام المبادرة والحلول محل السياسيين في قيادة التحريض والثورة^(١).
إن القادة العلماء الذين كرسوا حياتهم لقضية فلسطين كثر لكني أكتفي ببعض
النماذج مثل:

-العالم القائد أمين الحسيني مفتي فلسطين، الذي كان أول من ترأس اللجنة العربية
العليا المنبثقة عن كافة الأحزاب الفلسطينية سنة ١٩٣٦ وكان أول عمل هو الإعلان عن
إضراب عام وتحديد ثلاثة أهداف لإيقافه:
١- إيقاف ومنع الهجرة اليهودية منعا باتا.
٢- منع انتقال الأراضي العربية لليهود.
٣- إنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي منتخب^(٢).

وفي نفس السنة اتخذت الثورة إتجاها جديدا: المجموعات المسلحة، ووقعت ثورات
عديدة بلغ مجموع العمليات عام ١٩٣٦، ٤٠٠٠ عملية.

رفض مشروع التقسيم وكانت الضريبة إقصاء المفتي من رئاسة المجلس الإسلامي
الأعلى ومن لجنة الأوقاف العامة التي كان يرأسها ثم تكوين لجنة الجهاد التي كان عضوا
فيها وغير ذلك من المواقف العظيمة التي اتخذها إلى درجة اعتباره عند بعض الأنظمة
العربية (الملك عبد الله) خصما مشتركا بينهم وبين اليهود، بقوله: "إن كلينا يواجه خصما
مشتركا يقف عقبة إزاء خططنا وهو المفتي".

وهناك عالم من علماء التجديد الإسلامي الحديث إذا ذكرت فلسطين لا بد من ذكره
نظرا لارتباطه الوثيق بها لما لها من بعد ديني عقائدي وبعد استراتيجي وباعتبارها محنة
للمسلمين بقوله: "إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائرهم وهممكم وأموالكم،
وحدثكم، وليست فلسطين لشعوب فلسطين وحدهم وإنما هي للعرب كلهم وليست حقوق
العرب فيها تتال بأنها حق في نفسها، وليست تتال بالهويني والضعف وليست تتال
بالشعريات والخطايبات، وإنما تتال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة، إن الصهيونية
وأنصارها مصممون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى، قابلوا بإتحاد أمتن وكونوا حائطا لا

(١) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين، ص ١٥١.

(٢) أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٧٦.

صدع فيه لا يرتفع بالكسالى" (١) ثم يبين الآليات التي توظفها الحركة الصهيونية فيقول: "إن الصهيونية تعتمد قبل كل شيء على الذهب، تشتري به الضمائر، الأرض والسلاح، وتشتري به السكوت والنطق، تشتري به الحكومات والشعوب، تعتمد عليه على الحيلة والمكر والتباكي والتصاغر في حينه، وعلى التتمر والإرهاب في فرصته" (٢).

لم يؤل الإمام القائد البشير الإبراهيمي جهداً أو وسيلة أو إمكانية إلا ووظفها لخدمة القضية الفلسطينية من موقعه العلمي والفكري سواء في رسم الخطط أو اقتراح مبادرات أو إبداء نصائح سواء للحكام أو الشعوب ورغم الاستعمار الفرنسي لم ينس القضية مؤكداً ذلك بقوله: "أيها الظانون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها لا والله ويأبى لها ذلك الشرف الإسلام ومجد العروبة ووشائج القربى، ولكن الاستعمار الذي عقد عقدة لصالحه وإلى حلها لمصلحته وقابض بفلسطين لمصلحته، هو الذي يباعد بين أجزاء الإسلام لتلا تلتحم، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم وهيئات، هيئات لما يروم" (٣).

لقد باع الشيخ الإبراهيمي مكتبته الخاصة ووهب ثمنها لفلسطين عام ١٩٤٨. كما شارك في تأسيس لجنة الدفاع عن فلسطين سنة ١٩٤٨ وترأسها.

وحدد واجب كل من الحكام والشعوب: فبالنسبة للحكام قال: وواجب زعماء العرب أن يتفقوا في الرأي ولا يختلفوا، وأن يتقوا الزعامة ونقائصها من تطلع لرياسة عاجلة، أو تشوف لرياسة آجلة، وأن يتوجهوا بنفوذهم وجميع قوى العرب الروحية والمادية إلى جهة واحدة هي فلسطين (٤).

أما واجب الشعوب فقال: فالواجب في حق الشعوب أن تجعل من قضية فلسطين قضيتها الأولى، فتعطيها ما تستحقه من اهتمام وتجود بالأموال وتضحى بالأقوات، لا أن تبقى متفرجة وكأن الأمر لا يعنيه، تلقي بالاتهامات على الحكام ورجال السياسة، ولتعلم أنها بتصرفاتها السياسية والاقتصادية والفكرية يتحدد مصير القضية الفلسطينية الداعمة

(١) عيون البصائر، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٩٣.

(٣) عيون البصائر، ص ٥١٤.

(٤) عيون البصائر، ص ٥١٧.

لمشروعها ومقاومة التطبيع السياسي والثقافي يغير الكثير من القدرات الحاسمة التي تتخذها والدوائر الكبيرة الكبرى في العالم.

وكانت وصيته للمسلمين: أيها العرب المسلمون إن فلسطين وديعة محمد عندنا وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا نحن إذا الخاسرون.

وفي عصرنا هذا فإن الدكتور الشيخ القرضاوي هو أنبل مثال للعالم القائد الذي تفانى في خدمة ونصرة القضية الفلسطينية وما قام به لا يخفى على أي منا.

قادة المقاومة:

إنهم القادة الذين حددوا دورهم في رسم طريق المقاومة وسبيل الجهاد إيماناً منهم بأنه الخيار الإستراتيجي الوحيد لأرض احتلت وشعب ظلم بغير حق وهذا الخيار يصدر عن خلفية فقهية تشريعية، إذ إجماع جمهور الفقهاء أنه طالما هناك عدو يحتل أرضنا فالجهاد يصبح واجبا عينيا على كل أفراد الأمة الإسلامية رجالا ونساء حتى استرجاع الأرض ورد العدوان (1).

ثم إن من حقوق الإنسان حق الأمن، لذلك فالدفاع عن النفس من أجل الأمن مشروع. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار [رواه مسلم].

وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد [رواه أبو داود والترمذي] وقال: حديث حسن صحيح.

وفلسطين ضاعت فيها من الحقوق، واحتلت الأرض واغتصبت الأموال ودمرت الممتلكات، واغتيل الإنسان وذهب الأمن، وانتهكت الحريات، واخترقت القوانين، فوجبت المقاومة وفرض الجهاد.

هذا ما أدركه قادة المقاومة وسعوا إلى تحقيقه ليدخلوا في زمرة من قال عنهم المصطفى صلى الله عليه وسلم: "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما

(1) انظر: أسهل المدرك، شرح أرشد السالك في فقه إمام الأئمة مالك للكشناوي، ج ٢، ص ١٨ بتصرف.

حوله، وعلى أبواب المقدس وما حولها، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة" (١).

فكانوا بذلك الدرع الواقي للأرض والشعب إذ امتزجت قضية فلسطين بأرواحهم فعاشوا لها وبها -بعد الله عزوجل- ونذروا أنفسهم رخيصة في سبيلها، فكانوا في حياتهم "حياة أمة" وفي مماتهم "حياة أمة" ذلك أنهم قلب ينبض بالإيمان وعقل يفيض بالعمق والإبداع، يعرفون بالتخطيط والتنفيذ لا بالصخب وبالتواضع لا بالإستعلاء، وبالعمل والانجازات لا بالأقوال والخطابات، وبالميدان لا بالشعارات .. وبالعزة والإبء لا بالمساومات والتنازلات فأعطوا أعظم قدوة في الشهادة والقيادة.

إن الشعب الفلسطيني رغم سياسة الإبادة واغتيالات الصهيونية - التي أصبحت سياسة شاملة على المستوى الحكومي والعسكري تستهدف كل فئات الشعب الفلسطيني حتى الأطفال الرضع منهم موظفة في ذلك كل الإمكانيات المالية والمادية والعقادية والبشرية - ما زال قويا صامدا ثابتا مقاوما متمسكا بالحقوق والأرض يأبى التنازل والاستسلام مقتديا في ذلك بقيادة المقاومة الذين "يرسمون مسار الأحداث ويضئون لشعوبهم فجر المجد وطريق الحرية ويهبونها روح الحياة ونبض التواصل والاستمرار ويجعلون من أنفسهم الوقود الدافع والسراج المنير لمسيرة عزتها وكرامتها وتقدمها وتحريها واستقلالها" (٢). ومن أبرز نماذج قادة المقاومة نذكر:

١- الشيخ عز الدين القسام (٣) العالم المجاهد الذي بعد دراسته لحال المسلمين والاستعمار قرر مبدأ الجهاد لتحرير الأرض؛ فقاتل الفرنسيين في سوريا وانتقل إلى فلسطين بعد حكم الإعدام عليه في سوريا، ليشارك في تحريرها من الانجليز واليهود فبدأ بعملية الإقناع والتربية والتدريب فكون بعد ذلك منظمته الجهادية عام ١٩٢٥م حتى أن حاكم لواء حيفا الانكليزي قال له: يا شيخ إنك متحرك وذو نشاط مناوئ لنا، فرد عليه الشيخ بعد أن أخرج المصحف الشريف من جيبه قائلاً: هذا الكتاب العظيم يأمرنا بالجهاد ولا نخالفه.

(١) أبو يعلى في مسنده، ج ١١، ص ٣٠٢.

(٢) م. إسماعيل عبد اللطيف الأشقر وآخرون، الإغتيالات الصهيونية ضد رموز الشعب الفلسطيني، ص

(٣) انظر: عبد العزيز البدرى، الإسلام بين العلماء والحكام، ص ٢٣٥-٢٣٧ بتصرف.

وفي عام ١٩٣٥ أعلنت الثورة وبدأت عمليات التجنيد والتعبئة العامة للشعب للمشاركة في الثورة التي بدأت في تنفيذ العمليات الجهادية، غير أن الله قدر للشيخ الشهادة يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ حين حوَصِر وإخوانه من طرف البوليس الانكليزي والطائرات وطلبوا منهم الاستسلام فأجاب إننا لن نستسلم وإلتفت إلى زملائه قائلاً: موتوا شهداء^(١).
لقد أيقظ استشهاد الشيخ عز الدين القسام الشعب الفلسطيني وأثار له طريق الجهاد فشمَل كل فلسطين، وانطلقت الثورة ولم تتوقف إلى يومنا هذا، وبعده جاء المفتي أمين الحسيني سنة ١٩٣٦ الذي سبق ذكره في القادة العلماء ومعه القائد العام للثورة عبد القادر الحسيني^(٢).

الشخصية والنموذج الثاني: الشيخ أحمد ياسين الذي يعرف الجميع ما قدمه لفلسطين غير أننا عند ذكر القضية لا بد من ذكره، لقد كان للشيخ أحمد اسماعيل ياسين الفضل بعد الله في المشاركة في تأسيس المجمع الإسلامي ١٩٧٩ وشغل منصب الأمين العام له سنة ١٩٨٤، وفي تأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس سنة ١٩٨٧ كما تولى مسؤولية الإخوان قبل ذلك، فكان بذلك المجاهد المفكر والرمز الرقم الذي يُحسب له ألف حساب لما له من تأثير في توجيه الرأي الخاص والعام ليس على مستوى فلسطين فقط ولكن على المستوى العربي والإسلامي، أفقد إسرائيل توازنها واضطرها إلى إعادة حساباتها ورهاناتها لقد كان يؤمن قائد المقاومة بأن الخيار الاستراتيجي الوحيد لحل القضية الفلسطينية هو خيار المقاومة، لذا حاول القادة الصهاينة إثناءه عن هذا الخيار بكل الوسائل بالتهديد تارة والاعتقال تارة أخرى (١٩٨٣-١٩٨٩) ومحاولة الاغتيال تارة ثالثة إلى أن حقق الله له الشهادة التي كانت أسمى أمانيه، لقد بقي صامدا ثابتا متمسكا بالحقوق والأرض رغم كل المحاولات والمؤامرات ورغم الأمراض المصاب بها إضافة إلى الشلل العام إيماناً منه بحتمية زوال إسرائيل إذ قال: لا زلنا نؤمن بزوالها أكثر من ذي قبل، والنصر قادم إن شاء الله، وكل المؤشرات تؤكد أن إسرائيل إلى زوال، والمتغيرات في الشعوب تتم كل ٤٠ سنة، وقد مضى على شعبنا ٤٠ سنة أولى و ٤٠ سنة ثانية، وكل المتغيرات على الساحة الفلسطينية جاءت بعد الأربعين الأولى، ففي ١٩٨٧ كانت الانتفاضة

(١) ثورة عز الدين القسام، عوني العبيدي، ص ٤٤.

(٢) انظر: مصطفى الطحان، القدس والتحدي الحضاري.

الأولى التي غيرت مسار التاريخ، ونعتقد أنه في عام ٢٠٢٧م القادم بإذن الله زوال إسرائيل^(١).. إنه استشراف لمستقبل فلسطين ولكن رغم إيمانه هذا واستشرافه للمستقبل فقد أعطى إسرائيل فرصة لمراجعتة النفس و التراجع عن سياسة الإبادة عندما بين رأيه والحركة في الهدنة منطلقا في ذلك من الموقف الشرعي: الصلح مع اليهود يعتبر جريمة في حق من قام به، إذا قصد به شرعية الاحتلال والاعتراف بحقه في الوجود على أرضنا المغتصبة، وبقاء الشعب الفلسطيني مشردا خارج بلاده، أما إذا كان الصلح بمعنى الهدنة ووقف القتال لمدة محددة من الزمن، فقد أجاز الإسلام توقيع الصلح وذلك إذا رأى في العدو قوة وفي المسلمين ضعفا، واحتاج إلى وقت للإعداد والبناء وأخص هنا فلسطين بالذات^(٢).

وقد وضع الشيخ ياسين شروطا للهدنة حتى لا تكون على حساب فلسطين والشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية وهذه الشروط تتمثل في برنامج شاهد على العصر: "تريد في هذه المرحلة أن يزول الاحتلال عن أرضنا المحتلة عام ١٩٦٧ كاملة وأن تزول كل آثار الاحتلال الإسرائيلي من مستوطنات ومن سجون ومعتقلات ومن ضغوط داخلية واقتصادية من الحدود المغلقة على الشعب وأن تقوم لنا دولة فلسطينية على ترابنا المحرر الذي تركه الاحتلال الاسرائيلي وعاصمتها القدس الشريف، وألا تتدخل إسرائيل في شؤوننا ولا أمننا وحركتنا وأن يأخذ شعبنا حقه في تقرير مصيره كاملا"^(٣).

أما رأيه في الاتفاقيات يمكن تلخيصه في قوله: "غير أن ماهو مطروح اليوم لا علاقة له بالصلح المشروع ولا الهدنة المشروعة، إنه اعتراف للعدو بشرعية اغتصابه لفلسطين وهذا لا يجوز مطلقا ومن هنا يبدو من العبث أن يتحدث البعض عن هدنة وجوازها لأنه حديث في غير موضعه، وهو نوع من إعطاء الشرعية للباطل .

لقد كان الشيخ الشهيد والقائد المقاوم نموذج القيادة الرشيدة الحكيمة التي تقاسم الشعب الهموم والقتل والتشريد والأمال والطموحات مقدمة في ذلك المصالح العامة على

(١) صحيفة الحقائق، مؤسس زعيم حماس، الشيخ أحمد ياسين في حوار مفتوح، لندن، ٢٠٠٣/٠٦/٣٠.

(٢) صحيفة الحياة، ١٩٩٥/٠٢/٢٣.

(٣) الشيخ أحمد ياسين، شاهد على عصر الانتفاضة، ص٣١٥، وصحيفة الحياة اللندنية، لندن،

١٩٩٨/٤/٢.

الخاصة والمبادئ على المصالح من أجل تحقيق الأهداف المنشودة في إطار الإستراتيجية المرسومة بكل الوسائل المشروعة المتاحة، لقد عاش فلسطين ومات من أجلها لأن التفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين والعقيدة، فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم الدين.

وأخيرا يمكن القول أن سياسة الاغتيال التي رسمها قادة الصهاينة بهدف القضاء على قادة المقاومة يبين بجلاء الجهود الجبارة التي بذلها هؤلاء في خدمة قضيتهم والمخاطر العظيمة التي شكلوها على الكيان الصهيوني.

القيادات النسائية:

يقول الله عزوجل في محكم تنزيله: [g f e d c b a

h i j k...z⁽¹⁾، انطلاقا من هذا فإن دور القيادات النسائية لا يقل أهمية عن دور بقية القيادات الأخرى بل إنها تشارك القادة الرسميين والقادة الشعبيين وتدعمهم في أداء أدوارهم المختلفة كل حسب الميدان والمستوى الذي يعمل به مجسدة بذلك مقولة "وراء كل رجل عظيم امرأة"، وإن أردنا تلخيص دور القيادات النسائية يمكن القول بأنه يتمثل باختصار فيما يلي:

١- المستوى الاجتماعي والتربوي: حماية المقاومة من خلال صناعة الرجال الأبطال وتشكيل شخصياتهم الجهادية بمعاني الجهاد، وحب الوطن والتضحية من أجل تحريره بكل الإمكانيات المادية والمالية والبشرية ودفعه لتجسيد ذلك على أرض الواقع.

*المحافظة على الهوية الإسلامية والمنظومة الأخلاقية للأجيال والشخصية السوية التي يستهدف الكيان الصهيوني مسخها وسلخها عن الإسلام والتعاليم المحمدية وذلك من خلال دورها الأساسي في التنمية البشرية وإعداد القادة.

*قيادة العمل الاجتماعي والخيري بمعناه الشامل من خلال المجتمع المدني مستهدفة بذلك دعم أسر الشهداء والأسرى والجرحى ماديا ومعنويا، وكذلك من خلال إيجاد شبكات علاقات اجتماعية مستهدفة بذلك زيادة وحدة المجتمع الفلسطيني والمحافظة على تماسكه وتماسك الأسرة الفلسطينية.

(١) التوبة/٧١.

٢- المستوى السياسي:

- المشاركة في دوائر صنع القرار، التواجد في المجلس التشريعي والمجالس المحلية، تعميق العمل السياسي وتسخيره لخدمة القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني.

٣- المستوى الثقافي والإعلامي:

توريث القضية للأجيال القادمة، وتكريس ثقافة المقاومة وفقه الجهاد إذ أنها الشريان الأساسي لعملية التوريث سواء القيم والمبادئ أو العقيدة والدين أو الثقافة والتعليم، إذ المرأة من أهم عناصر تفعيل طاقات الأمة وتحريكها نحو الهدف المرسوم ناهيك عن التثبيت وتخليد ذاكرة الأمة من خلال توظيف كل وسائل الإعلام، فكانت بذلك من أحسن المنابر الإعلامية للقضية الفلسطينية، ومن هنا غدت هدفا استراتيجيا للكيان الصهيوني.

٤- المستوى الجهادي:

وهو الدور الأبرز في العقد الأخير محاولة من المرأة الفلسطينية إثبات أهليتها في العمل المقاوم و"البرهنة على عودتها لاحتلال موقعها الأصيل ومكانها المرموق الذي رسمته لها مبادئ الإسلام السامية، فقد باتت على خط المواجهة الساخن مع قوات الاحتلال"^(١)، لما أدركت حقيقة الصراع ودوافعه ومنطلقاته وأهدافه، ورأت بأن الأدوار الأولى غير كافية رغم أهميتها في مرحلة تنامت فيها التحديات وازداد الكيان الصهيوني شراسة وعدوانية مما يتطلب النفير العام ومشاركة جميع فئات الشعب في التصدي للاحتلال الصهيوني عندئذ احترفت العمل المسلح"ولئن كانت البدايات الأولى لعمل المرأة المقاوم متواضعا، متمثلا في تنفيذ عمليات عسكرية كقطع الجنود والمستوطنين أو نقل العبوات الناسفة إلى داخل العمق الصهيوني، فسرعان ما تطورت لتصل إلى حد المشاركة في محاولات اقتحام المستوطنات والمواقع العسكرية ضمن وحدات كوماندوز "مختارة مما يُوشر على تعاظم الدور الكفاحي للمرأة الفلسطينية ورغبتها في بسط جسور المواجهة مع الاحتلال والايغال في مصارعتة والتصدي لإرهابه بلغة التضحيات"^(٢) ذلك أن الأيام ما انفكت تزيدها قوة وصقلا وإصرارا، وتشحنها بذلا وتضحية وتطويرا وتدفعها قدما في

(١) م. إسماعيل عبد اللطيف الأشقر، وأ. مؤمن محمد غازي بسيسو، المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني، ص ١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢.

ميادين المواجهة والتصعيد، إلى أن حفرت لنفسها أخاديد المجد وسط صخور المقاومة والشهادة، وشقت لبني جنسها المكانة اللاتقة في صميم مسيرة التحرير والاستقلال لهذا الشعب المنتفض، المتأجج بالثورة والكفاح والإقدام، فكانت العمليات الاستشهادية الموجعة التي نفذتها مجاهدات ومناضلات فلسطينيات شاهدا مباركا على المنحى التاريخي الذي ولجته المرأة الفلسطينية والإسهامات الجليلة التي أسدتها للشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة وقضيته العادلة^(١).

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر الشهيدة ريم الرياشي^(٢) التي ضربت أعظم أمثلة القيادة القدوة في الدعوة والتربية والجهاد والشهادة والتميز لتصبح سيدة الاستشهاديات سنة ٢٠٠٤ فقد كانت:

١- ربه بيت، أدت واجبها وحفظت أسرتها دون أي تقصير، ووازنت بين متطلباتها البيئية المعيشية وأعبائها الجهادية.

٢- أم، ضربت مثلا رائعا في التضحية والاستعلاء على كافة المشاعر والحالات النفسية، وأثبتت أن الأمومة لا تتعارض مع الإيغال في فنون التضحية في سبيل العقيدة والمبدأ والوطن والمقدسات، بل وأن المبادئ قد تتجاوز حاجز الأمومة المنيع، ليس ضعفا أو تقصيرا، بل نتاج تفاعلات نفسية ومشاعر قلبية وسمو روحي يتغلب على أية أحاسيس أو مشاعر أخرى مهما كانت.

٣- امرأة متدينة ومجاهدة أثبتت جدارتها وأهليتها لممارسة العمل المسلح ومشاركة المرأة في العمل المقاوم، إذ أن العملية التي نفذتها كانت من دقة التخطيط وإتقان التدبير وفاعلية التنفيذ بمكان بحيث شكل نجاحها الباهر صفة للصهاينة واستهزاء بنظريتهم الأمنية وإجراءاتهم العسكرية وقد كانت وصيتها: "أحب طفلي، فهما أحب وأعلى ما أملكه في حياتي، ولكن حبي لله تعالى أكبر من حبي لهما" والنماذج أكثر من أن تحصى. وأختم مداخلتني هذه ببعض التوصيات: *كونوا عابادا تكونوا قوَّادًا.

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٩-٢٠ بتصرف.

النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس، قال: أرض المحشر والمنشر، إئتوه فصلوا فيه، فإن الصلاة فيه كآلف صلاة في غيره، فمن فعل فهو كمن أتاه، قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟ قال: فتهدى له زيتا يسرج فيه، فمن فعل فهو كمن أتاه^(١)، فالزيت قديما، ولكن الآن من المفروض أن نرسل زيتا من نوع آخر وهو البترول من أجل تحرير وإعمار فلسطين دون نسيان أن تسليم القدس هو تسليم الكعبة ومكة المكرمة.

وأخيرا إن الرجال العظام يغيرون مجرى التاريخ وإن الذين يعملون على إفادة أكبر عدد ممكن من المجتمع الإنساني يعتبرون أرقى الشخصيات جميعا حيث لديهم الرؤية الواضحة تجسيدا للهدف الأمثل للوصول إلى النجاح النهائي بأعلى كفاءة وأقل وقت ودونما تكاليف تذكر، فكفاءة القيادة تتوقف على قدرتها على إنجاز الأهداف المحددة باستخدام الموارد المتاحة دون ضياع الوقت أو الجهد، أما فاعليتها فتتوقف على قدرتها على تحقيق أقصى النتائج والخدمات التي يمكن تحقيقها باستخدام الموارد المحددة المتاحة أحسن استخدام ممكن^(٢).

(١) أبو داود في السنن، ج ١، ص ١٧٨ .

(٢) أحمد عبد ربه مبارك، فن القيادة في الإسلام، ص ١٢-٢٦ بتصرف .